الفصل الثامن
دَور الكِتَابات الغَربية المنصِفة
في تصحيح
الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين

الفصل الثامن

دَور الكِتَابات الغَربية المنصِفة في تصحيح الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين

لا يمكن لبحثٍ يدّعي الموضوعية والتوازن أن يتجاهل الكثير من الكِتَابات الغَربية التي أنصفت العرب، سواء أكانوا رحالة أو كتَّاباً أو أُدباء.
ويمكن لهذه الكِتابات المنصفة أن تلعب دوراً هاماً في تصحيح الصّورة النّمطية السّلبية عن العرب في الذِّهن الغربي وتساهم بفاعلية في دعم مسيرة الحِوَار العربي – الغربي في مختلف المجالات الثقافية والدينية والسياسية والإعلامية.

لقد وُجِدَ في كل القرون ومن كل الثقافات شخصيات حرَّة لا تساوم على الحقيقة، ولا تتخلى عن الموضوعية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

1-جورج سيل:

يعتبر جورج سيل (1697 – 1736) أول مستعرب انكليزي متحرِّر نسبياً من الغرض الدينيّ، كان يوصف أنه نصف مسلم، اشتهر بترجمته للقرآن الكريم التي نشرت عام 1734.

واتخذ سيل مواقف منصفة في كتاباته من العرب ودينهم وحضارتهم ([1]).

2-رتشارد برتون:

من أكثر الرَّحَالة الأجانب الذين زاروا الوطن العربي في منتصف القرن التاسع عشر، نشاطاً وكتابة، تميَّزت كتاباته بدقتها المنهجية وصدقها وواقعيّتها ودفاعها عن شخصية الإنسان العربيّ ([2]).

3–ولفريد. إس . بلنت:

دافع الرَّحَالة "ولفريد إس . بلنت" (1840 – 1922) عن العرب والإسلام، إذ كان خلافاً لأغلب المستشرقين والرَّحالة متحرِّراً من الأهواء الدِّينيّة. كان الإسلام برأيه قوة إيجابية أسهمت بمعرفة قيِّمة للإنسانية ([3]).

4–الكاتب المسرحي "جورج برناردشو":

أعجب " برناردشو" بالحضارة العربية الإسلامية وبالنّبي الكريم محمَّد ﷺ, وممّا قاله في هذا الصدد : ((قرأتُ حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات, ولم أجد فيها إلاَّ الخُلق كما يجب أن يكون, وأصبحت أضع محمَّداً في مصاف, بل على قمم المصاف من الرجال الذين يجب أن يُتَّبعوا, ولمّا قرأت دين محمّد أحسست أنَّه دين عظيم.

لقد مضت على الغرب القرون وهو يقرأ كتباً وجرائد مليئة بالأكاذيب عن الإسلام والعرب، أمَّا

اليوم ففطن رجال الغرب إلى أن الإسلام الحقيقي ليس الذي عرفوه من كتب قرأوها من قبل)) ([4]).

5–المستشرق الألماني الدكتور "وايل":

الدكتور "وايل" هو أستاذ اللغات الشرقية ومدرّس العربية والسريانية في جامعة باريس. قال في كتابه ((تاريخ الخلفاء)): ((إنَّ أقوال المغرضين وآراء المتعصبين كانت وما زالت تتوجه إلى العرب والمسلمين، وأن الغَرب الصّليبي الاستعماري حرص منذ قرون على مواجهة الإسلام وتشويه صورته وتجريح نبيَّه محمَّد ﷺ ([5]).

6–الكاتب البريطاني "دوانبورت":

قال الكاتب البريطاني الكبير جان دوانبورت: ((أعتذر عن التصورات والأوهام التي كانت شائعة في الغرب عن العرب والمسلمين ([6]).

7–الصحفي الأمريكي نيكولاس هوفمان:

كتبَ الصحفي الأمريكي **Nicholas Van "Hoffman"**: مـــن صـــحيفة ((واشـــنطن بوست)): ((لم تُشوَّه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية أو يحط من قدرها بشكل مركَّز ومنتظم، كما حدثَ للعرب)).

وفي السياق ذاته كتبت رئيسة تحرير صحيفة **"the naw Republic"**:((العرب ضحايا نمطية جذرية مسبقة. وعندما يكون الرأي منحازاً سلفاً ولا رجوع عنه، فإنَّه يصبح أكثر انتماءً وقرباً إلى – التوضيب – منه إلى التفكير)) ([7]).

8–الكاتبة الأمريكية "نيغرين فيلد":

بيّنت الكاتبة الأمريكية **NegGreen Field** : المسؤولة عن صفحة الرأي في صحيفة الواشنطن بوست, آلية تكون الصورة المعادية للعرب بقولها : ((نحن نسيء فهم العرب, الأمر الذي يؤدي إلى التقديم الكاريكاتيري لهم, وتشويههم والسّخرية

مـنهم، ثمـة عمليـة لنـزع الصِّـفة الإنسـانية عـن العرب)) ([8]) .

9-الصحفي الانكليزي "أرسكن تشيلدرز" ([9]):

الصَّحفي والكاتب الانكليزي " أرسكن تشيلدرز " مـن الصّـحفيين والكتّـاب الأوفيـاء للعـرب الـذين دافعوا عـن قضـاياهم في مؤلفـات عـدة، منهـا علـى سـبيل المثـال:" الطريـق إلى السـويس " و " بعـض المنطق عن العرب ".

قـال في محاضـرة ألقاهـا في هولنـدا في مطلـع عـام 1967 بدعوة من جمعية الصَّداقة الهولندية العربية بمناسبة عشر سنوات على تأسيسها: ((لقد كانت صـورة العرب والمغاربـة والمسـلمين في الغَرب تتسـم بالقـوة والحـقّ في وقـت سـبق كثـيراً ظهـور الإمبراطوريات الغربية التي نشأت آسيا وإفريقية)).

ويضـيف " تشـيلدرز ": ((كثـيراً مـا راودتـني فكـرة وضـع فلـم عـن العرب، وأنا أقف في ميدان ترفلغر

في لندن. لو قدر لي هذا، فإنني سأهز أوصالَ كلَّ المتفرجين، بريطانيين وغربيين على السَّواء. سأخبر الحاضرين بأن ميدان ترفلغر عربي الأصل " الطرف الأغر"، وأن الشيكات التي تتعامل بها البنوك الكبيرة الموجودة في ذلك الميدان استمدت تسميتها من كلمة عربية، وأن الأرقام التي تحملها من اكتشافات العرب، وأن المجاري تحت ذلك الميدان اقتبست من مجاري بغداد وقرطبة عندما كانت لندن وأية مدينة أخرى مجرد أكداس من الطين والأوساخ، وأن لقب أدميرال الذي عرف به نلسون كلمة عربية الأصل. وسأُدهش الحاضرين أكثر عندما أبلغهم أن الماء الصاعد من نوافير الميدان ماء صاف بفضل انتصارات العُلماء العرب القُدامى في ميدان الكيمياء)).

ويخلص " شيلدرز " إلى نتيجة هامة مفادها: ((المؤسف أن صورة العرب الحالية في أذهاننا سلبية

وغبية فنحن لم نصل إلى ما وصلنا إليه إلاّ بفضل العرب لأنَّ اتصالنا بهم كان أطول وأوثق من اتصالنا بالشُّعوب الأخرى)).

10–الشَّاعر الألماني "غوته"

أراد الشَّاعر الألماني الكبير " يوهان وولفغانغ فون غوته " ربط الروح الشرقية بالروح الغربية ولذا ألّف كتابه الهام " ديوان الشرق والغرب " الذي أخذ شهرة عالمية وما زال رغم مرور " 185" عاماً على وفاته.

11–الفيلسوف الألماني " هردر "

اتخذ الفيلسوف الألماني " هردر " موقفاً منصفاً من الحضارة العربية، حيث يرى أنَّ العرب كانوا مصدر نور وإشعاع في العصر الوسيط، وهم في الوقت نفسه باعثو الحضارة الأوروبية.

12–المستشرقة الألمانية "آنّا ماري شيمل":

عَملت المستشرقة الألمانية " آنّا ماري شيمل " (1922 – 2003) على تحويل حِوَار الحضارات إلى شعار عالمي تبنته الدول والمؤسسات الدولية، حيث عملت وأنتجت وتحولت إلى سفيرة ثقافية في الحِوَار بين حضارة الشَّرق وحضارة الغرب ([10]).

ومن الكتّاب الغربيين الآخرين الذين أنصفوا العرب والمسلمين: مراد هوفمان, وتوماس كاريل, وتولستوي, واللورد هيدلي, وإميل درمنجم, والسِّير وليم موير, والفيزيائي ألبرت آينشتاين, والكسندر دوما, وجان جاك روسو, وسواهم.

تغيير الصّورة النّمطية السَّلبية عن العَرب وتَصحيحها أولى مَهَام الحِوَار

الحديث عن كيفية مُحَاوَرة الغَرب إعلامياً وثقافياً وشروط هذا الحِوَار وأهدافه وآلياته لا ينفصل عن دراسة صورة العَرب في الغَرب، وكيفية تغييرها

وإعادة تشكيلها وتَصحيح قوالبها السّلبية الرَّاسخة لدى الإنسان الغربي.

فقد يتطلب النجاح في إزالة الصُّورة النَّمطية التي رسخت عبر عقود طويلة في الفكر الشَّعبي الغَربي عن المسلمين والعرب المقدار نفسه من هذه العقود. وهي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق المسلمين والعرب بمقدار ما تقع على عاتق الغربيين أيضاً.

إنَّ عدم مواجهة المفاهيم الخاطئة والصُّور النَّمطية السَّلبية عن المسلمين والعرب يرسّخها أكثر في ذهن الإنسان الغربي ويُعزِّز من نتائجها الكارثية المدمِّرة. وهذا يلقي بمسؤولية كبيرة على المسلمين والعرب أنفسهم حكومات ومؤسسات وأصحاب أقلام وفكر ليجدوا السُبل المُثلى لمُحَاورة الإنسان الغربي بالحكمة والموعظة الحسنة والمصالح المتبادلة.

وَاجبات الدُّول الغَربية في تغيير الصُّورة السَّلبية عن العَرب

تَستلزم عملية تغيير الصُّورة الذّهنية النَّمطية السَّلبية عن العرب ثلاثة متطلبات أساسية تشكل مجتمعة قاعدة ومنطلقاً لعملية تغيير شاملة تطال المجتمع الغَربي وحكوماته ومؤسساته ([11]):

– المطلب الأول:

أن توضح الدّول الغربية ما تسميه موقفها الجديد إزاء العرب والمسلمين وتبلوره في استراتيجيات وسياسات واضحة ومحدَّدة، تنطلق منها وسائل الإعلام أو تأخذها بعين الاعتبار في تغطيتها للقضايا العربية والإسلامية.

– المطلب الثاني:

إقدام الغَرب على اتخاذ وقفة نقدية حاسمة إزاء الإرث الضخم من معظم الفكر الاستشراقي الذي

يُشكِّل الأساس الذي قامت عليه الصُّورة النَّمطية السَّلبية للعربي والمسلم في ذهن الإنسان الغربي.

– المطلب الثالث:

تفعيل وتطوير التوجهات الغربية الإيجابية إزاء القضية الفلسطينية وسائر القضايا العربية الأخرى، وتبنِّي النظرة الموضوعية والواقعية للعرب والمسلمين.

وَهَكَذا يكون تَصحيح الصُّورة النَّمطية السَّلبية عن العرب والمسلمين في الذِّهن الغربي، هو البداية الطَّبيعية لتأسيسِ ثقةٍ متبادلة تشكل مدخلاً موضوعياً لانطلاقِ حِوَارٍ عربي – غربي فاعل ومؤثر وعميق ومتواصل.

****

الهوامش والمراجع:

[1] **– عثمان , محمَّد عثمان: محمّد ﷺ في الكتابات المنصفة, ص59.**

[2] **– نفسه, ص117.**

[3] **– مجموعة المؤلفين ((إيناسيو رامونيه)): نظام التضليل العالمي, ص83 .**

[4] **– المرجع السابق: ص 8 .**

[5] **– هاشم , عقيل: تخطيط الإعلام العربي, ص103 – 105.**

[6] **– العبادي, صالح : آنّا ماري شيمل : السفير الثقافي بين الشرق والغرب, مجلة الفيصل, العدد 322, يونيو 2003, ص118.**

[7] **– شيمل, آنّا ماري: من كلمتها في حفل استلام جائزة الصلح للناشرين الألمان, مجلة كيهان, العدد 28, طهران نوفمبر 1995م .**

[8] – خضور, د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي , ص77– 78.

9– محمد الأحمد، الحوار الإعلامي مع الغرب، دار الشرق، بيروت2006، ص123.

10– المصدر السابق نفسه، ص156.

11– نفسه، ص167.

****